حجاجية المقتضى المعجمي في الخطب السياسية للإمام علي رضي الله عنه:

The argumentative role of the lexical presupposition in the political speeches of Imam Ali

د. كمال الزماني جامعة القرويين كلية اللغة العربية مراكش المغرب

kamalezzamani@hotmail.com

تاريخ الإيداع : 2018/09/30 **تاريخ القبول**: 2018/11/05

الملخص:

يرتبط المقتضى المعجمي، وفق التصور اللساني لديكرو وموشلار وأموسي وغيرهم، بالمكونات اللسانية المنغرسة في بنية اللغة، فهو ليس حدثا بلاغيا يتعلق بالمعطيات المقامية والسياقية، وإنما هو معطى لساني يستفاد مباشرة من اللفظ، وهو ما يجعله موضع اتفاق بين أطراف التخاطب، وذا مستوى حجاجي أعلى.

ويحاول هذا المقال الكشف عن أثر هذا المستوى في الخطب السياسية للإمام علي رضي الله عنه، وبيان أن المقتضيات المعجمية للكلمات الأكثر تواترا في هذه الخطب، قد أسهمت في جعل المتلقين يقبلون مضمون القضايا المعروضة عليهم، ويسلمون به، وجعل الخطيب يبني، انطلاقا من هذا القبول، القضايا الجديدة التي يريد منهم الاقتناع بها.

الكلمات المفتاحية: المقتضى المعجمي؛ الحجاج؛ الخطب السياسية؛ السياق؛ المخاطب

Abstract:

According to linguistic perspective of Ducrot, Moeschler, Amossy and others, lexical presupposition is linked to the linguistic components that are rooted in the very structure of the language. Lexical presupposition is not a rhetorical event related to contextual data; it is a linguistic given that directly emanates from the word, however. This property gives lexical presupposition a higher argumentative level and facilitates agreement between the interlocutors.

This article tries to reveal the impact of lexical presupposition in the political speeches of Imam Ali. It also tries to examine the impact of lexical presuppositions of the most common words in these speeches, and how

they contribute to making the recipients accept the content of the presented ideas on the one hand and give the speaker a new opportunity to construct new theses in the direction of convincing his audience on the other hand.

Keywords: The lexical presupposition ; argumentation ; Political speeches ; the context; the recipient

تقديم:

اعتنى الدارسون بالحجاج عناية فائقة لما له من حضور فعال في التواصل البشري، فهو آلية أساس في تشكيل الخطاب الإنساني وممارسته، ومكونا رئيسا من مكونات التواصل الفعال والمستمر بين الأفراد، فالإنسان لا يمكنه أن يفكر أو يتواصل مع غيره دون أن تكون له نية التأثير فيه بوجه من الوجوه، ولذلك فإن الوحدات اللغوية التي يختارها للتعبير عن آرائه وأفكاره ومشاعره لا ينبغي التعامل معها باعتبارها ترفا، وإنما بوصفها جزءا لا يتجزأ من الحجاج، فهي لا تُختار اعتباطا، بل لما تحمله بين طياتها من عناصر لسانية وغير لسانية تكون قادرة على إحداث التأثير المطلوب. ومن بين العناصر الخطابية التي يستند إليها المتكلم في الحجاج، والتواصل مع الغير، والتعبير عن الأغراض والمقاصد، نجد المقتضى المعجمي. فما هو المقتضى؟ وما هو المقتضى المعجمي؟ وما هي حجاجيته في الخطب السياسية للإمام علي رضي الله عنه؟

1-تعريف الحجاج (L'argumentation):

يقول ابن منظور "حاجَجْتُه أُحاجُّه حِجاجاً ومُحاجَّةً حتى حَجَجْتُه أَي غَلَبْتُه بالحُجَجِ التي أَدْلَيْتُ بها... وحاجَّه مُحاجَّةً وحِجاجاً نازعه الحُجَّةَ وحَجَّه يَحُجُّه حَجّاً غلبه على حُجَّتِه وفي الحديث فَحَجَّ آدمُ موسى أَي غَلَبَه بالحُجَّة... ومنه حديث معاوية فَجَعَلْتُ أَحُجُّ خَصْمِي أَي أَغْلِبُه بالحُجَّة"[1].

-والحجة هي: "الدَّلِيلُ و البُرْهَانُ، وقيل: ما دُفِعَ به الخَصْمُ وقال الأَزهريّ: الحُجَّةُ: الوَجْهُ الذي يكون به الظَّفَرُ عند الخُصومة. وإِنما سُمِّيَت حُجّةً لأَنّها تُحَجُّ أَي تُقْصَدُ؛ لأَنّ القَصْدَ لها وإِليها"[2].

-والرجل المحجاج: أي " الرَّجلُ الكثيرُ الجَدَلِ"[3]. يقال "جادَلْت الرجل فجَدَلته جَدْلاً أَي غلبته، ورجل جَدِل إِذا كان أَقوى في الخِصام وجادَله أَي خاصمه مُجادلة وجِدالاً والاسم الجَدَل وهو شدَّة الخصومة... والجَدَل مقابلة الحجة بالحجة والمجادلة المناظرة والمخاصمة "[4].

نخلص من خلال ما سبق إلى أن الحجاج يدل في معناه اللغوي على "المنازعة" و"الغلبة" و"المخاصمة" و"المجادلة" التي تحدث بين طرفين، يحاول كل منهما التأثير في الآخر باعتماد سلاح الحجة والدليل والبرهان.

يحدد بيرلمان وتيتكا (Lucie Olbrechts-Tyteca, Chaim Perelman) موضوع نظرية الحجاج في "دراسة تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم"[5] أما الغاية منه، فيقولان عنها "إن غاية كل حجاج أن يجعل العقول تذعن لما يطرح عليها أو يزيد في درجة ذلك الإذعان، فأنجع الحجاج ما وفق في جعل حدة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب (إنجازه والإمساك عنه)، أو هو ما وفق على الأقل في جعل السامعين مهيئين لذلك العمل في اللحظة المناسبة"[6]

ويغطي الحجاج، عند هذين الباحثين، كل مجالات الحياة، إذ "يحضر في جميع المستويات: كما يحضر في النقاشات العائلية، فإنه يحضر كذلك في مجالات تخصصية مميزة" . ولذلك فهما يعدان "كل المكونات الموجودة في رسالة ما (مكتوبة أو مقروءة، أو مشاهدة أو حتى إشارية)، هي عبارة عن مستويات معينة من مستويات الحجاج"[7].

2-تعريف المقتضى (Le présupposé):

عُرِّفَ المقتضى تعاريف متعددة تختلف باختلاف اعتقادات الباحثين وخلفياتهم المرجعية، ففي الحقل التداولي مثلا، تؤدي المعارف والحقائق التي يشترك فيها المتلقي مع متكلمه دورا كبيرا في التوصل إلى اقتضاءات الكلام، ومن بين التعاريف التي سلكت هذا السبيل نذكر تعريف ستالنكر الذي يقول: "إن مفهوم الخلفية المشتركة هو أول تقريب لمفهوم الاقتضاء التداولي الذي أود أن أستخدمه هنا. تعتبر قضية «ق» اقتضاء تداوليا لمتكلم ما في سياق معين إذا افترض المتكلم «ق» أو اعتقد أن «ق»، وافترض أو اعتقد أن المخاطب يفترض أو يعتقد ب«ق»، وافترض أو اعتقد أن المخاطب على دراية بأن المتكلم يضمن هذه الأشياء أو يعتقد بها"[8].

غير أن هذا التصور للمقتضى سرعان ما تم تجاوزه من طرف أرباب الحجاج والتداولية كروث أموسي[9] وجاك موشلار[10] وديكرو[11] وغيرهم، والذين قدموا فهما آخر اعتبروا من خلاله أن المقتضى لا ينبغي أن يكون دائما مشتركا بين المتكلم والمخاطب، وإنما هو شأن خاص بالمتكلم ولا شأن لمعارف السامع به. فقد اعتبر ديكرو أن «المقتضى من ضرورة اللفظ». فهو "ليس حدثا بلاغيا مرتبطا بعملية التلفظ، وإنما هو مسجل في بنية اللغة نفسها"[12]. فقولنا

مثلا: "«لا زال زيد يدخن» لا يقتضي فقط أنه يدخن حاليا، وإنما يقتضي أيضا بأنه كان يدخن من قبل"[13]. وهو اقتضاء لا يتعلق بمقتضيات سياقية ومقامية، وإنما يتعلق بالمكون اللساني[14] المنغرس في بنية اللغة. فهو يضم "كل المعلومات المستفادة مباشرة من التلفظ[15]، بغض النظر عن طبيعة التلفظ الذي وردت فيه، وبالرغم من أنها لم تأت بشكل صريح، ولا تشكل الموضوع الحقيقي للرسالة"[16]. ولذلك فهو لا يرتبط في عملية فهمه واستنباطه بمعطيات مقامية، وإنما يكون "منعدم السياق"[17]، وهذا ما يجعله يكون دائما "في منأى عن الدحض أو الإنكار"[18].

وبناء على ما سبق، يمكن القول إن الاقتضاء يكون من ضرورة اللفظ، فهو منغرس في اللغة وفي بنية الأقوال نفسها، لكنه قد يحتاج أحيانا إلى معرفة مشتركة بين أطراف الوضعية التواصلية، تقود المتكلم إلى صياغته كما تقود المخاطب إلى فهمه والتوصل إليه. فالمقتضى "يشترك في توليده جانب ثابت تمثله المعطيات اللغوية الإعرابية والمعجمية، وجانب متغير يعود إلى خصائص المقامات التي ترد فيها"[19].

3-حجاجية المقتضى المعجمي في الخطب السياسية للإمام علي رضي الله عنه:

تواترت في الخطب السياسية للإمام علي رضي الله عنه مجموعة من الكلمات التي تحمل بين طياتها مقتضيات معجمية (Présupposés lexicaux) . وقد استقصينا الكلمات الأكثر هيمنة منها، فحصلنا على مجموعة من النتائج اخترنا منها سبع كلمات، سنبين في مرحلة أولى المقتضى المعجمي الناجم عن كل واحدة منها، ثم سننتقل إلى إبراز حجاجية هذا المقتضى.

3-1 المقتضيات المعجمية للكلمات الأكثر توترا في الخطب السياسية للإمام علي رضي الله عنه:

3-1-1 المقتضى المعجمي لكلمة «الحق»:

جاء في لسان العرب: "الحق ضد الباطل... حَقَّ الأَمرُ يَحِقُّ ويَحُقُّ حَقّاً وحُقوقاً صار حَقّاً وثَبت. قال الأَزهري: معناه وجَب يَجِب وجُوباً"[20]. ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[21]، أي "وجبت وثبتت"[22]. ومعنى قول "من قال: حق عليك أن تفعل [أي] وجب عليك"[23].

وتدل كلمة «الحق» كذلك على "الحُكْم المطابِق للواقِع يُطلَقُ على الأقوالِ والعَقائدِ والأدْيانِ والمذاهِبِ باعتِبار اشْتِمالِها عَلَى ذلِك ويُقابِلُه الباطِل"[24]، فالمطابقة "في الحق تكون من جانب الواقع"[25]، ولذلك فإن معنى "حَقِّيته : [أي] حَقِّيَّة مُطابَقَةِ الواقِع إيّاه"[26]. فإن طابقه فهو حق وإن لم يطابقه فهو بخلاف ذلك.

وإذا علمنا أن كلمة الحق لم تكن ترد في الخطب السياسية لدى الإمام علي رضي الله عنه باعتبارها صفة تميز أتباعه ومخاطبيه، وإنما كانت ترد في موضع الدعوة إلى الالتزام بها كما

في المثال السابق، فإنه يمكن القول إن المقتضى الأساس الذي يمكن صياغته منها هو وجود دائرة أو واقع للحق يميزه الكرامة والعزة والمجد، إلا أن المخاطبين يوجدون خارج هذا الواقع لتخاذلهم وتثاقلهم وتهربهم من الجهاد، فدعوة الإمام علي إياهم إلى الحق تقتضي أنهم بخلافه.

ومن أمثلة توظيف هذه الكلمة في الخطب السياسية للإمام علي رضي الله عنه:

-قول الإمام علي بعد غارة أصحاب معاوية على أطراف البلاد: " لَا يَمْنَعُ الضَّيْمَ الذَّلِيلُ وَ لَا يُدْرَكُ الْحَقُّ إِلَّا بِالْجِدِّ"[27].

3-1-2 المقتضى المعجمي لكلمة «الدين»:

تدل كلمة الدين على الجزاء والمكافأة. يقول ابن منظور: "الدِّين : الجزاء والمكافأة . ودِنْتُه بفعلِه دَيْناً: جَزَيته... و يومُ الدِّين: يومُ الجزاء. وفي المثل: «كما تَدِينُ تُدان» أَي كما تُجازي تُجازَى، أَي تُجازَى بفعلك وبحسب ما عملت... ودانَه دَيْناً أَي جازاه. وقوله تعالى: ﴿أَإِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ [28] أَي مَجْزِيُّون ... ومنه قوله تعالى : ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّين﴾ [29] وقيل : معناه مالك يوم الجزاء"[30].

ومن معانيها اللغوية كذلك الطاعة، بل إن صاحب تاج العروس يرى بأن هذا المعنى هو أصل هذه الكلمة، إذ يقول: "الدين: الطاعة وهو أصل المعنى، وقد دنته ودنت إليه أي: أطعته... وفي الحديث: «الخوارج يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية»[31]، أي من طاعة الإمام المفترض... ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [32] أي: طاعة، وقوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [33] يعنى الطاعة، فإن ذلك لا يكون في الحقيقة إلا بالإخلاص، والإخلاص لا يتأتى فيه الإكراه بل في الطاعة"[34].

ومن معاني هذه الكلمة كذلك الذل، فقد قال الزبيدي: "الدين: الذل والانقياد قيل: هو أصل المعنى وبهذا الاعتبار سميت الشريعة دينا"[35].

نخلص من خلال هذه التعاريف إلى أن كلمة الدين لها عدة معان، إلا أن معانيها الأصلية لا تخرج، كما أشار إلى ذلك كل من ابن منظور والزبيدي، عن ثلاثة معان وهي: الجزاء والطاعة والذل[36]. وهذه المعاني تجعل لهذه الكلمة ثلاث مقتضيات معجمية، وهي:

-أن الدين بمعنى «الجزاء» يقتضي ضرورة وجود مُجَازٍ وهو الله تعالى، وجزاء وهو الجنة أو النار، ومجازى وهو المقصود أو المقصودون بهذا الجزاء.

-أن الدين بمعنى «الطاعة» يقتضي ضرورة وجود مطاع وهو الله تعالى أو الإمام علي بحسب سياق الكلام، ومطيع وهم المخاطبون.

-أن الدين بمعنى «الذل والانقياد» يقتضي ضرورة وجود مُتَذَلَّلٍ إليه وهو الله تعالى، ومُتَذَلِّلٍ وهو المخاطب أو المخاطبون المقصودون بهذا الدين.

ومن أمثلة توظيف هذه الكلمة في الخطب السياسية للإمام علي رضي الله عنه:

--قوله عن آل النبي صلى الله عليه وسلم: " هُمْ أَسَاسُ الدِّينِ وَعِمَادُ الْيَقِينِ إِلَيْهِمْ يَفِيءُ الْغَالِي وَ بِهِمْ يُلْحَقُ التَّالِي"[37].

3-1-3 المقتضى المعجمي لكلمة «الفتنة»:

تدل الفتنة في اللغة على "الابتلاء والامْتِحان والاختبار"[38]. كما تدل كذلك على : "الضلال والإثم"[39]. فالفاتِنُ: "المضِلُّ عن الحق والفاتِنُ: الشيطان لأَنه يُضِلُّ العِبادَ... بِخداعِه وغروره وتَزْيِينه للمعاصي"[40]. يقول تعالى: ﴿مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ﴾[41] أي "بمضلين إلا من أضله الله تعالى"[42].

وانطلاقا من هذه المعاني فإن توظيف الإمام علي رضي الله عنه لهذه الكلمة في الخطاب يخلق فيه عددا من المقتضيات نذكر منها:

*أن الفتنة بمعنى «الامتحان» تقتضي:

-وجود ممتحِن: وهو الله تعالى الذي يمتحن صمود هؤلاء المخاطبين أمام الفتن التي حلت بهم، فضلا على امتحان حقيقة إيمانهم وصدقهم.

-وجود ممتحَن: وهم المخاطبون الذين يجب عليهم النجاح في هذا الامتحان لإظهار صحة إيمانهم وصدق إخلاصهم لله تعالى.

-وجود موضوع للامتحان: وهو يتجسد في مختلف الفتن التي حلت بالمخاطبين ابتداء من فتنة مقتل سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه، ومرورا بفتنتي أهل الجمل وأهل الشام، ووصولا إلى فتنة الخوارج.

*أن الفتنة بمعنى «الضلال» تقتضي:

-وجود ضال: ويمثله المخاطبون.

-وجود سبب للضلال: ويتمثل في خضوع هؤلاء المخاطبين لأهوائهم، ورفضهم محاربة المفتِنين، وتثاقلهم عن الجهاد، وضعفهم وجبنهم الذي تسبب في غزو بلادهم، وانتقاص أطرافها.

-وجود مضِل: ويمثله كل من حاول إحداث الفتن السابقة، ابتداء بأهل البصرة الذين حاربوا الإمام علي رضي الله عنه في موقعة الجمل، ومرورا بأهل الشام الذين رفضوا مبايعته وحاربوه في معركة صفين، وصولا إلى الخوارج الذين خرجوا عن طاعته لما رفضوا التحكيم الذي قام به مع معاوية رضي الله عنه وأتباعه.

ومن أمثلة توظيف هذه الكلمة في الخطب السياسية للإمام علي رضي الله عنه:

-قوله يبين فتنة بني أمية: " أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنِّي فَقَأْتُ عَيْنَ الْفِتْنَةِ وَ لَمْ يَكُنْ لِيَجْتَرِئَ عَلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرِي بَعْدَ أَنْ مَاجَ غَيْهَبُهَا وَ اشْتَدَّ كَلَبُهَا"[43].

3-1-4 المقتضى المعجمي لكلمة «خير»:

بما أن اسم التفضيل هو صيغة تحمل معنى المفاضلة بين شيئين في معنى معين، بحيث يزيد أحدهما على الآخر في هذا المعنى، فإن ورود هذه الصيغة في الكلام يخلق عددا من المقتضيات المعجمية المنغرسة في بنية هذه الصيغة. وهكذا فإن قولنا على سبيل المثال: «زيد أفضل الناس» يقتضي أن:

-لزيد فضل.

-لعمرو فضل، ولبكر فضل، ولخالد فضل...

-زيد يفوق الناس فضلا[44].

فزيد يشترك مع جميع الناس في معنى «الفضل»، لكن ما يميزه هو أنه يتفوق عليهم في هذا المعنى ويتجاوزهم فيه. والشيء نفسه يمكن أن يقال على كلمة «خير»، فقول الإمام علي لمخاطبيه مثلا: "أَنَا لَكُمْ وَزِيراً خَيْرٌ لَكُمْ مِنِّي أَمِيراً"[45] يحمل بين طياته مجموعة من المقتضيات وهي:

-كوني وزيرا خير.

-كوني أميرا خير، وكوني واليا خير، وكوني مستشارا خير...

-كوني وزيرا يفوق مرتبة الأدوار الأخرى كلها.

3-1-5 المقتضى المعجمي لكلمة «الحرب»:

لكلمة «الحرب» معان كثيرة، فهي تدل على "نقيض السلم"[46]، كما تدل على "الترامي بالسهام، ثم المطاعنة بالرماح، ثم المجالدة بالسيوف، ثم المعانقة والمصارعة"[47]. إلا أن ما يهمنا من معانيها هو معنى «السلب»، فقد قال الأصفهاني: "الحرب معروف والحرب السلب في الحرب، ثم قد يسمى كل سلب حربا... وقد حُرب فهو حريب أي سليب"[48]. وفي حديث الحُدَيْبِيَةِ: "فَإِنْ قَعَدُوا قَعَدُوا مَوْتُورِينَ مَحْرُوبِينَ "[49] أَي "مَسْلُوبِينَ مَنْهُوبِينَ"[50].

وانطلاقا مما سبق، فإن ذكر كلمة «الحرب» التي يرتبط معناها اللغوي بالسلب، يولد لدى المتلقي عددا من الاقتضاءات، نذكر منها:

-ضرورة وجود سالب، وهم أعداء الإمام علي رضي الله عنه الذين حاولوا الاستيلاء على بعض الأراضي التابعة لخلافته.

-أن هذا السالب بما أنه يحاول أخذ ما ليس له فهو ظالم.

-ضرورة وجود مسلوب، وهم أتباع الإمام علي رضي الله عنه الذين تم غزو أطراف أراضيهم من طرف جيوش معاوية، وتمت السيطرة على بعضها وطرد عمالها منها كما حدث في البصرة مثلا.

-أن هذا المسلوب بما أنه أُخذ منه ما هو حق له فهو مظلوم.

ومن أمثلة توظيف هذه الكلمة في الخطب السياسية للإمام علي رضي الله عنه:

-قوله يحث أصحابه على الاستعداد للحرب: "فَخُذُوا لِلْحَرْبِ أُهْبَتَهَا وَ أَعِدُّوا لَهَا عُدَّتَهَا فَقَدْ شَبَّ لَظَاهَا وَ عَلَا سَنَاهَا"[51]

3-1-6 المقتضى المعجمي لكلمة «الظلم»:

قال ابن منظور: " الظلم وضع الشيء في غير موضعه"[52]. ومن أمثال العرب "من أشبه أباه فما ظلم أي: ما وضع الشبه في غير موضعه"[53]، ومنه "ظلم الأرض ظلما إذا حفرها في غير موضع حفرها... وظلم البعير ظلما إذا نحره من غير داء"[54]، فأصل الظلم هو "مجاوزة الحق"[55] إما "بنقصان أو بزيادة، وإما بعدول عن وقته أو مكانه"[56]. فإذا كان الحق "يجري مجرى نقطة الدائرة"[57] فإن مجاوزة الظالم له تكون وكأنه "هو الذي أزال الحق عن جهته وأخذ ما ليس له"[58].

وانطلاقا من هذا المعنى، فإن إطلاق الإمام علي رضي الله عنه لكلمة الظلم على أتباعه بقوله لهم مثلا: "وَلَقَدْ أَصْبَحَتِ الْأُمَمُ تَخَافُ ظُلْمَ رُعَاتِهَا وَ أَصْبَحْتُ أَخَافُ ظُلْمَ رَعِيَّتِي"[59] يقتضي أنهم بظلمهم له ورفض طاعته، فإنهم قد تجاوزوا دائرة الحق وخرجوا عنها، وأنهم موجودون في الموضع غير الصحيح.

3-1-7 المقتضى المعجمي لكلمة «الرعية»:

كثيرا ما ردد الإمام علي هذه الكلمة في خطبه، بل إننا نجد بعض الخطب التي ترددت فيها هذه الكلمة أكثر من مرة كما هو الحال في المثال التالي: "وَ أَعْظَمُ مَا افْتَرَضَ سُبْحَانَهُ مِنْ تِلْكَ الْحُقُوقِ حَقُّ الْوَالِي عَلَى **الرَّعِيَّةِ** وَ حَقُّ **الرَّعِيَّةِ** عَلَى الْوَالِي فَرِيضَةٌ فَرَضَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِكُلٍّ عَلَى كُلٍّ فَجَعَلَهَا نِظَاماً لِأُلْفَتِهِمْ وَ عِزّاً لِدِينِهِمْ فَلَيْسَتْ تَصْلُحُ **الرَّعِيَّةُ** إِلَّا بِصَلَاحِ الْوُلَاةِ وَ لَا تَصْلُحُ الْوُلَاةُ إِلَّا بِاسْتِقَامَةِ **الرَّعِيَّةِ** فَإِذَا أَدَّتْ **الرَّعِيَّةُ** إِلَى الْوَالِي حَقَّهُ وَ أَدَّى الْوَالِي إِلَيْهَا حَقَّهَا عَزَّ الْحَقُّ بَيْنَهُمْ... وَ إِذَا غَلَبَتِ **الرَّعِيَّةُ** وَالِيَهَا أَوْ أَجْحَفَ الْوَالِي **بِرَعِيَّتِهِ** اخْتَلَفَتْ هُنَالِكَ الْكَلِمَةُ وَ ظَهَرَتْ مَعَالِمُ الْجَوْرِ"[60].

وكلمة «الرعية» بصرف النظر عن كونها تدل على العامة[61]، أي عامة من يخضع للراعي في حكمه، فإن لهذه الكلمة مجموعة من المعاني المترابطة بشكل يؤسس لمقتضاها المعجمي. ومن هذه المعاني: الحفظ والرعاية، فقد قال ابن منظور: "الرَّعْيُ مصدر رَعَى الكَلأَ ونحوَه يَرْعى رَعْياً والراعِي يَرْعى الماشيةَ أَي يَحوطُها ويحفظُها"[62]، بل إن الأصفهاني يرى أن الأصل في الرعي هو الحفظ، إذ يقول: "الرعي في الأصل حفظ الحيوان إما بغذائه الحافظ لحياته، وإما بذب العدو عنه، يقال: رعيته أي حفظته"[63].

إلا أن دلالة الرعي على الحفظ لا ترتبط فقط بحفظ الحيوان، وإنما بقي هذا المعنى راسخا في هذا الكلمة حتى عندما تمت استعارتها لحقل الإنسان. يقول ابن منظور: "رَعَى الأَمِيرُ رَعِيَّته رِعايةً، ورَعَيْتُ الإبلَ أَرْعاها رَعْياً، ورَعاه يَرْعاه رَعْياً ورِعايَةً: حَفِظَه، وكلّ مَنْ وَلِيَ أَمرَ قومٍ فهو راعِيهم وهُم رَعِيَّته... وقد اسْترعاهُ إيَّاهم اسْتَحْفَظه"[64].

ومن معاني هذه الكلمة كذلك المراقبة. يقول ابن منظور: "المراعاة المناظَرة والمراقَبَة. يقال: راعَيْتُ فلاناً مراعاةً ورِعاءً إذا راقَبْته وتأَمَّلْت فِعْلَه، وراعَيْتُ الأَمرَ نَظَرْت إلامَ يصير، وراعَيْته لاحَظته"[65]، ومنه "رعيت الرجل: إذا تأملته وتعرفت أحواله"[66]، ومراعاة الإنسان للأمر "مراقبته إلى ماذا يصير وماذا منه يكون"[67].

وبذلك تكون المعاني اللغوية المرتبطة بكلمة «الرعية» هي الحفظ والرعاية والمراقبة. وانطلاقا من هذه المعاني، فإن ذكر هذه الكلمة يولد لدى المخاطب مجموعة من الاقتضاءات المعجمية نذكر منها:

*أن قولنا «الرعية» من «الرعي» بمعنى الحفظ والعناية والمراقبة يقتضي:

- ضرورة وجود حافظ ومعين ومراقب وهو الإمام علي رضي الله عنه، وكونه هو الراعي يقتضي كذلك أن يكون مطاعا، فما دام أن الراعي هو من يحفظ حقوق الرعية ويقوم بشأنهم في أمور دينهم ودنياهم وجميع ما يؤدي إلى صلاحهم، فإن طاعته تكون فريضة عليهم[68].

- ضرورة وجود ما يحفظ ويعتنى به ويراقب وهو يشمل كل أمور الناس الدينية منها والدنيوية.

- ضرورة وجود محفوظ ومراقَب ومعتنى به وهم مخاطبو الإمام علي رضي الله عنه وأتباعه.

- ضرورة وجود محفوظ منه ويشمل كل الأمور السيئة التي قد تحدق بهؤلاء المخاطبين كغزو أراضيهم من قبل جيوش العدو مثلا.

ويمكن باختصار إجمال المقتضيات السابقة ضمن الجدول التالي:

الكلمة	المنطوق (معناها المعجمي)	المقتضى
الحق	-مطابقة الواقع	-عدم مطابقة المخاطبين للواقع وخروجهم عن دائرته.
الدين	-الجزاء والمكافأة -الطاعة -الذل	-وجود مُجازٍ وجزاء ومجازَى. -وجود مطِيع ومطَاع. - وجود مُتَذَلِّلٍ ومُتَذَلَّلٍ إليه.
الفتنة	-الامتحان	-وجود ممتحِن وممتحَن

	-الضلال	وموضوعا للامتحان. -وجود ضال ومضل وسبب للضلال.
الحرب	-السلب	-وجود سالب يحاول أخذ ما ليس له. -وجود مسلوب أخذ منه ما هو حق له.
الظلم	-وضع الشيء في غير موضعه	-وجود المخاطبين في وضع غير صحيح.
الرعية	-الحفظ والرعاية والمراقبة	-وجود حافظ ومراقب ومعتنٍ. -وجود ما يحفظ ويراقب ويعتَنَى به. -وجود من يُحفظ ويُراقب ويُعتنَى به. -وجود ما يُحفَظ منه.

2-3 البعد الحجاجي لهذه المقتضيات المعجمية:

تنبع حجاجية الكلمات السابقة مما تنطوي عليه هذه الكلمات من مقتضيات معجمية. فهذه المقتضيات "تسجن المتلقي في وضع ذهني يكون فيه في موقع الضعيف العاجز"[69] الذي لا يمكنه إلا أن يقبل بمضمونها. وآية ذلك هو أن المقتضى لا يرتبط بطرفي المحادثة، أي أنه لا يرتبط بالمتكلم عند عملية صياغته للملفوظ، كما أنه لا يرتبط بالمخاطب عند عملية تأويله له، إنما هو قابع في بنية اللفظ نفسه، وهو ما يجعله يقدم باعتباره "شيئا مشتركا بين المتكلم والمخاطب"[70]. إن هذه الخاصية هي سر قوة المقتضى، وهي التي تجعله "يمثل مستوى حجاجيا أقوى"[71].

إن المقتضى يمثل بالنسبة لديكرو "شيئا واضحا في الكلام"[72] يستمد وضوحه من الاتفاق الذي يحظى به بين طرفي المحادثة. وهذا ما يجعله يقدم باعتباره "إطارا غير قابل للإنكار، ويجعل المحادثة تدون ضرورة باعتبارها تنتمي إلى عالم الخطاب"[73]. فبتقديمي لفكرة ما إلى المخاطب "على هيئة مقتضى فإن كلانا يبدو كما لو لم يكن باستطاعته إلا القبول بها"[74]، كما لو كانت شيئا متفقا عليه مسبقا بيننا، فإذا كان "المنطوق هو ما أثبته بنفسي وما أقره باعتباري متكلما مسؤولا عنه... فإن المقتضى هو ما أقدمه باعتباره شيئا مشتركا بيني وبين

المخاطب"[75]، حيث يعبر المقتضى "إذا تعاملنا بمنطق الضمائر، عن الضمير «نحن» بينما يعبر المنطوق عن الضمير «أنا»"[76]. وفي هذا التعبير المشترك بين طرفي المحادثة تكمن القوة الحجاجية للمقتضى ويكمن انفلاته من أي رفض أو إنكار[77].

وما يزيد من حجاجية المقتضى كذلك، هو أنه يبدو على صعيد الزمن وكأنه حدث سابق على الملفوظ[78]، فهو شيء "يسبق التفوه بالكلام"[79]، لأنه "موجود عند المتكلمين"[80]، على عكس المنطوق الذي يأتي "متزامنا معه"[81]، وهذا ما يجعل المتكلم يستند إليه[82] في عملية الإقناع مستغلا في ذلك عامل الزمن الذي يشكل عنصرا حاسما في حركة الحجاج، حيث يبدو المقتضى لحظة التلفظ وكأنه "اختير في اللحظة نفسها التي تم فيها اختيار الملفوظ"[83]، وكأنه فقط "عملية استرجاع لمعرفة سابقة"[84].

ولكي نقرب أكثر خصائص المقتضى مقارنة بالمنطوق نقدم الجدول التالي:

المقتضى	المنطوق
-حدث لساني. -لا يشكل الموضوع الحقيقي للرسالة. -شيء مشترك بين المتكلم والمخاطب (نحن). -حدث سابق على الملفوظ. ←كل ذلك يجعله في منأى عن الدحض أو الإنكار[85].	-حدث لساني. -يشكل الموضوع الحقيقي للرسالة. -خاص بالمتكلم (أنا). -حدث متزامن مع الملفوظ. ←يكون معرضا للدحض أو الإنكار.

فهذا الجدول يبرز دور المقتضى وأهميته الحجاجية في عملية الإقناع. ومثالا على ذلك نقدم الجملة التالية[86]:

-تركت سيارتي لشقيقي.

فقد ينكر المخاطب منطوق هذه الجملة بأن يقول مثلا: «لم تترك سيارتك لشقيقك»، وقد ينكر المفهوم من هذه الجملة بقوله مثلا: «ليس صحيحا أنك تحب أخاك» إذا كانت هذه الجملة قد قيلت في مقام يتطلب مثلا أن أعبر فيه عن مدى حبي لأخي، لكنه لا يستطيع أن ينكر مقتضى هذه الجملة ألا وهو: «كانت لدي سيارة».

وإذا عدنا إلى الكلمات السابقة، فيمكن القول إن حجاجية مقتضياتها المعجمية تكمن في كونها تقدم على أنها تشكل معلومات «قديمة ومسلم بها» من قبل المخاطبين، ليتم من خلالها بناء «معلومات جديدة» تكون "قابلة للنقاش على نطاق واسع"[87] من طرفهم.

فإذا كان عصر الإمام علي رضي الله عنه هو عصر الفتن والصراعات السياسية التي تسبب فيها عدد من الفرق والطوائف، سواء أولئك الذين رفضوا مبايعته، كأهل الشام الذين يتزعمهم سيدنا معاوية رضي الله عنه، أو أولئك الذين رفضوا الطريقة التي تعامل بها الإمام علي رضي الله عنه مع قتلة سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه، كأمنا عائشة وطلحة والزبير رضي الله عنهم جميعا، أو من أعلنوا صراحة خروجهم عن طاعة الإمام علي رضي الله عنه، وأسسوا فرقة خاصة بهم سميت بالخوارج، فإن كل ذلك قد اضطر الإمام علي رضي الله عنه إلى التوجه إلى أتباعه ومخاطبيه لمحاولة التأثير فيهم، سواء من خلال استنهاض هممهم إلى الحرب، بإبراز أهميتها في تحقيق العزة والكرامة، حيث يقول:

م1: "أَلَا وَإِنِّي قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى قِتَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَيْلًا وَنَهَاراً وَسِرّاً وَ إِعْلَاناً وَ قُلْتُ لَكُمُ اغْزُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَغْزُوكُمْ فَوَاللَّهِ مَا غُزِيَ قَوْمٌ قَطُّ فِي عُقْرِ دَارِهِمْ إِلَّا ذَلُّوا"[88].

أو دفعهم إلى الحرب من خلال التقليل من وقعها والحث على عدم الخوف منها، إذ يقول:

م.2: "قَدْ كُنْتُ وَ مَا أُهَدَّدُ بِالْحَرْبِ وَ لَا أُرَهَّبُ بِالضَّرْبِ"[89].

أو إثارة حماسهم لها بقوله:

م.3: "وَقَدْ رَأَيْتُ جَوْلَتَكُمْ وَانْحِيَازَكُمْ عَنْ صُفُوفِكُمْ تَحُوزُكُمُ الْجُفَاةُ الطَّغَامُ وَ أَعْرَابُ أَهْلِ الشَّامِ وَأَنْتُمْ لَهَامِيمُ الْعَرَبِ وَ يَآفِيخُ الشَّرَفِ وَالْأَنْفُ الْمُقَدَّمُ وَ السَّنَامُ الْأَعْظَمُ"[90].

أو تعريفهم بتعاليمها من خلال قوله:

م.4: "قَلْقِلُوا السُّيُوفَ فِي أَغْمَادِهَا قَبْلَ سَلِّهَا وَالْحَظُوا الْخَزْرَ وَاطْعُنُوا الشَّزْرَ وَ نَافِحُوا بِالظُّبَى وَصِلُوا السُّيُوفَ بِالْخُطَا... فَصَمْداً صَمْداً حَتَّى يَنْجَلِيَ لَكُمْ عَمُودُ **الْحَقِّ**"[91]

أو كشفه عن أهميتها في إبراز الحق بقوله:

م.5: "لَا يُدْرَكُ **الْحَقُّ** إِلَّا بِالْجِدِّ"[92].

وبالمقابل فقد عمل على ذم وتوبيخ وتقريع أصحابه سواء من خلال تبيان طابعهم الرافض لطاعته بقوله:

م.6: "مُنِيتُ بِمَنْ لَا يُطِيعُ إِذَا أَمَرْتُ وَ لَا يُجِيبُ إِذَا دَعَوْتُ"[93].

م.7: "لَقَدْ أَصْبَحَتِ الْأُمَمُ تَخَافُ **ظُلْمَ رُعَاتِهَا** وَأَصْبَحْتُ أَخَافُ **ظُلْمَ رَعِيَّتِي** اسْتَنْفَرْتُكُمْ لِلْجِهَادِ فَلَمْ تَنْفِرُوا وَ أَسْمَعْتُكُمْ فَلَمْ تَسْمَعُوا وَدَعَوْتُكُمْ سِرّاً وَجَهْراً فَلَمْ تَسْتَجِيبُوا وَ نَصَحْتُ لَكُمْ فَلَمْ تَقْبَلُوا"[94].

أو الكشف عن تعديهم على حقوقه عليهم:

م.8: "ثُمَّ جَعَلَ سُبْحَانَهُ مِنْ **حُقُوقِهِ حُقُوقاً** افْتَرَضَهَا لِبَعْضِ النَّاسِ عَلَى بَعْضٍ فَجَعَلَهَا تَتَكَافَأُ فِي وُجُوهِهَا وَ يُوجِبُ بَعْضُهَا بَعْضاً وَ لَا يُسْتَوْجَبُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ. وَ أَعْظَمُ مَا افْتَرَضَ سُبْحَانَهُ مِنْ تِلْكَ **الْحُقُوقِ حَقُّ** الْوَالِي عَلَى **الرَّعِيَّةِ** وَ **حَقُّ الرَّعِيَّةِ** عَلَى الْوَالِي فَرِيضَةٌ فَرَضَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِكُلٍّ عَلَى كُلٍّ فَجَعَلَهَا نِظَاماً لِأُلْفَتِهِمْ وَ عِزّاً لِدِينِهِمْ فَلَيْسَتْ تَصْلُحُ **الرَّعِيَّةُ** إِلَّا بِصَلَاحِ الْوُلَاةِ وَ لَا تَصْلُحُ الْوُلَاةُ إِلَّا بِاسْتِقَامَةِ **الرَّعِيَّةِ** فَإِذَا أَدَّتْ **الرَّعِيَّةُ** إِلَى الْوَالِي **حَقَّهُ** وَ أَدَّى الْوَالِي إِلَيْهَا **حَقَّهَا** عَزَّ **الْحَقُّ** بَيْنَهُمْ وَقَامَتْ مَنَاهِجُ **الدِّينِ**"[95].

أو الكشف عن تخاذلهم وجبنهم وفرارهم من ساحات الحرب بقوله:

م.9: "إِنْ **حُورِبْتُمْ** خُرْتُمْ... لَا أَبَا لِغَيْرِكُمْ مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ وَ الْجِهَادِ عَلَى **حَقِّكُمْ** الْمَوْتَ أَوِ الذُّلَّ لَكُمْ"[96].

أو إبراز عجزهم عن مواجهة الخصوم، إذ يقول:

م.10: " لَبِئْسَ لَعَمْرُ اللَّهِ سُعْرُ نَارِ **الْحَرْبِ** أَنْتُمْ تُكَادُونَ وَ لَا تَكِيدُونَ وَ تُنْتَقَصُ أَطْرَافُكُمْ فَلَا تَمْتَعِضُونَ"[97].

إن البعد الحجاجي في هذه الأمثلة جميعها يكمن في دفعها المتلقي إلى قبول المعطيات الجديدة التي يحاول الإمام علي رضي الله عنه تمريرها إلى مخاطبيه (الدعوة إلى الجهاد، إبراز فضائله في تحقيق العزة والكرامة، عدم الخوف من الحرب، إثارة حماستهم إليها وتعريفهم بتعاليمها، توبيخ المتخاذلين، الحث على طاعته... إلخ)، وذلك بالانطلاق من معطياتها القديمة التي تتمثل في المقتضيات المعجمية التي تحملها هذه الكلمات بين ثناياها، والتي يكون مسلما بها سلفا من طرف هؤلاء المخاطبين، فالمقتضيات تمثل "طريقة بارعة في جعل المعلومة التي يعتقدها المتكلم هي نفسها التي يتوجب على المستمع تصديقها"[98].

إن الوقع الحجاجي للكلمات السابقة ينبع من خصوصية دلالتها المعجمية، فهذه الكلمات إذ تظهر في عالم الخطاب محملة بهذه الدلالة، فإنها تكون "مسرحا لظهور المنطوق والمقتضى معا، فهما لا ينفصلان، إذ أن منطوقها يؤدي إلى مقتضاها، ومقتضاها في منطوقها أو على الأقل ينحدر منه، فهي تحمل في الوقت نفسه تهمة من جهة المنطوق، حقيقة من جهة المقتضى... ونفي التهمة أي المنطوق لا يمكن إلا أن يمر عبر نفي الحقيقة، أي المقتضى، ولا يتأتى ذلك إلا بمهاجمة القائل نفسه ومناصبته العداء"[99].

وهكذا فإنه قد يسهل على المخاطبين أن يرفضوا في المثال الأول أن الإمام علي رضي الله عنه دعاهم إلى محاربة معاوية وجنوده بأن يقولوا مثلا: «ليس صحيحا أنك دعوتنا إلى قتال هؤلاء القوم ليلا ونهارا وسرا وإعلانا»، وقد يستطيعون أن ينكروا في المثال الثاني عدم خوف الإمام علي من الحرب بأن يقولوا مثلا: «ليس صحيحا أنك لا تخاف من الحرب»، أو يرفضوا في

المثال الثالث أن الإمام علي أثار حماستهم إليها، ولكنهم لا يستطيعون في هذه الأمثلة جميعها أن ينكروا أن ذكر «الحرب» بمعنى «السلب» يقتضي وجود سالب يحاول أخذ ما ليس له، ويتعلق الأمر هنا بأعداء الإمام علي رضي الله عنه الذين كانوا يهدفون إلى الاستيلاء على بعض الأراضي التابعة لخلافته، ومسلوب وهم المخاطبون أنفسهم الذين تم غزو الأراضي التابعة لهم، والسيطرة على أجزاء مهمة منها كالبصرة مثلا.

وقد يسهل على المخاطبين في المثال الرابع أن يرفضوا أوامر الإمام علي رضي الله عنه ومعرفته بتعاليم الحرب بقولهم مثلا: «لن نخضع لأوامرك وليس صحيحا أن لك علما بتعاليم الحرب»، وأن يرفضوا في المثال الخامس أن الحق يدرك بالجد فقط بقولهم مثلا: «ليس صحيحا أن الحق يدرك بالجد فقط»، لكنهم لا يستطيعون إنكار أن ذكر «الحق»، ودعوتهم إلى التحلي به يقتضي أنهم يقعون خارج دائرته، بدليل حالة الذل والهوان التي أصبحوا عليها نتيجة تخاذلهم عن نصرة الحق، وتثاقلهم عنه، وتهربهم من الجهاد، وتخليهم عن محاربة من استولوا على أراضيهم.

وقد يسهل على المخاطبين في الأمثلة المتبقية أن يرفضوا كونهم يتصفون بصفات التخاذل والعجز والذل التي وصفوا بها، بأن يقولوا مثلا: «ليس صحيحا أننا نتصف بهذه الصفات»، أو يرفضوا أن يكون للإمام علي أي حقوق عليهم بقولهم مثلا: «ليس صحيحا أن لك حقوقا علينا»، لكنهم لا يستطيعون أن يرفضوا أن:

-كونهم رعية من «الرعي» بمعنى «الحفظ والمراقبة» يقتضي وجود حافظ ومراقب وهو الإمام علي رضي الله عنه الذي يعد، باعتباره الراعي والمسير الأسمى لأمور الدولة، المخول الوحيد لاتخاذ كل ما يلزم لحفظ البلاد والعباد من غارات الأعداء واعتداءاتهم المتكررة.

-ذكر الإمام علي رضي الله عنه لكلمة «الظلم» التي تعني « وضع الشيء في غير موضعه»، ووسمهم بها، يقتضي مجاوزتهم وخروجهم عن دائرة الحق، وأنهم موجودون في الموضع غير الصحيح.

- ذكر الإمام علي رضي الله عنه لكلمة «الدين» التي تعني «الجزاء والطاعة» يقتضي أن جزاءهم سيكون هو الجنة في حالة طاعتهم له، واتباعهم لما يأمرهم به، واجتنابهم لما ينهاهم عنه، وسيكون هو النار في حال قيامهم بعكس ذلك.

وهكذا في كل الأمثلة، فإن المخاطبين يستطيعون أن يعترضوا على المعطيات الجديدة لكونها جاءت مصرحا بها على لسان الإمام علي، لكن لا أحد منهم يستطيع أن يعترض على مقتضياتها المعجمية لكون هذه المقتضيات هي عبارة عن "شيء بديهي ومسلم به، ومن المفروض أن يتشاطره عموم الأشخاص المنتمين إلى الجماعة نفسها"[100]. وبهذا التسليم، ترسم

هذه المقتضيات منطقة مشتركة بين الإمام علي رضي الله عنه وبين مخاطبيه الذين تغلب عليهم صفات إنكار طاعته، وجحد كلامه، وعصيان أوامره، منطقة يتخذها أساسا ومطية لدفعهم إلى قبول ما يعرض عليهم من أطروحات وإقناعهم بما أريد إقناعهم به.

الخاتمة:

نخلص مما سبق إلى أن المقتضيات المعجمية هي عناصر منغرسة في بنية اللغة، ولذلك فهي تؤدي في الخطاب وظيفة حجاجية تتمثل في جعل المتلقين يقبلون مضمونها ويسلمون به، وجعل الخطيب يبني، انطلاقا من هذا القبول، القضايا الجديدة التي يريد منهم الاقتناع بها، فمعرفة الإمام علي رضي الله عنه بالقوة الحجاجية لبعض الألفاظ الحاملة لاقتضاءات معجمية، ككلمات «الحرب»، و«الدين»، و«الرعية»، و«الحق»، و«الظلم»، وغيرها من الكلمات الأخرى، هي ما جعلته يوظفها، ويكرارها أكثر من غيرها في خطبه السياسية، فهذه الألفاظ تؤجل، بإنتاجها لمقتضى ما، لحظة إنكار المخاطبين لما هو معروض عليهم، وتساهم في بناء النظريات الجديدة وزيادة درجة قبولهم لها من جهة، وتبعثهم على التصديق من جهة ثانية. وهذا ما يضمن للإمام علي رضي الله عنه انخراط هؤلاء المخاطبين في عالم الخطاب، ويوجههم إلى متابعة منطق الكلام في الاتجاه الذي يحدده لهم، ويخدم بالتالي غاياته وأهدافه الحجاجية.

هوامش البحث:

[1]- ابن منظور: لسان العرب، ط:1، دار صادر، بيروت، 1990، مادة (ح ج ج).

[2]- محمد مرتضى الزبيدي : تاج العروس ، دار ليبيا، بنغازي، 1966، مادة : (ح ج ج).

[3]- نفسه، المادة نفسها.

[4]- ابن منظور: لسان العرب، مادة (ج د ل).

[5] Chaïm Perlman et Lucie Olbrechts – Tyteca : Traité de l'argumentation (La nouvelle rhétorique), 5ème édition, Editions de l'université de Bruxelles, 2000 , P : 5.

[6] Ibid , p :59.

[7] محمد سالم محمد الأمين :مفهوم الحجاج عند بيرلمان ،ضمن الحجاج:مفهومه و مجالاته ، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ط:1، عالم الكتب الحديث، إربد، 2010، ص :182.

[8] - Robert C. Stalnaker : Pragmatic presupposition

نقلا عن جورج يول: التداولية، تر: قصي العتابي، ط:1، دار الأمان، الرباط، 2010، ص: 147.

[9] - Ruth Amossy: L'argumentation dans le discours, , 2éme édition , éditions : Armand Colin , Paris, 2006,p :166.

[10] - Jacques Moeschler : Argumentation et conversation :Eléments pour une analyse pragmatique du discours , Hatier-Credif, Paris, Aout 1985 ,p :35

[11] - Oswald Ducrot : Le dire et le dit, les éditions de Minuit, Paris, 1984, p :30

[12] - Ibid, p :30- 31.

[13] - Ibid, p :18.

[14] - Ibid, p :25.

[15]- ميز ديكرو بين الجملة والملفوظ: فالجملة هي مكون تركيبي يختص بالدلالة (La signification). أما الملفوظ فهو المظهر الخاص لتوظيف الجملة وهو يختص بالمعنى (Le sens) ويتميز بكونه قابلا لكي يستقل بنفسه. ومثالا على ذلك فلو قال شخصان مختلفان: «الجو جميل» فإننا نكون أمام جملة واحدة وأمام ملفوظين مختلفين يختلفان بحسب توظيف كل منهما لهذه الجملة (أنظر: Oswald Ducrot : Le dire et le dit, Op.cit, p :174-180). أما التلفظ فهو "الحدث أو الواقعة التي تشكل ظهور الملفوظ" (أنظر: Jacques Moeschler : Argumentation et conversation, Op.cit, p :33)

[16] - Catherine Kerbrat Orcchioni : L'implicite, , Armand Colin, Paris, 1986, p :25.

[17] - Ibidem.

[18] - Ibid, p : 23.

[19]- ريم الهمامي: الاقتضاء وانسجام الخطاب، ط:1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2013، ص: 93.

[20]- ابن منظور: لسان العرب، مادة (حقق).

[21]- سورة الزمر، آية: 71.

[22]- محمد مرتضى الزبيدي : تاج العروس ، مادة : (حقق).

[23]- ابن منظور: لسان العرب، مادة (حقق).

[24]- محمد مرتضى الزبيدي : تاج العروس ، مادة : (حقق).

[25]- نفسه، المادة نفسها.

[26]- نفسه، المادة نفسها.

[27]- ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ، ج:2، ت:محمد أبو الفضل إبراهيم، ط:2، دار إحياء الكتب العربية، 1965، ص: 111.

[28]- سورة الصافات، آية: 53.

[29]- سورة الفاتحة، آية: 4.

[30]- ابن منظور: لسان العرب، مادة (دين).

[31]- النص الكامل لهذا الحديث هو: " حَدَّثَنَا وَكِيعٌ حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ عَنْ سُفْيَانَ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ خَيْثَمَةَ عَنْ سُوَيْدِ بْنِ غَفَلَةَ قَالَ قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثًا فَلَأَنْ أَخِرَّ مِنْ السَّمَاءِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَكْذِبَ عَلَيْهِ وَإِذَا حَدَّثْتُكُمْ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ فَإِنَّ الْحَرْبَ =خَدْعَةٌ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: يَخْرُجُ قَوْمٌ فِي آخِرِ الزَّمَانِ أَحْدَاثُ الْأَسْنَانِ سُفَهَاءُ وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ أَسْفَاهُ الْأَحْلَامِ يَقُولُونَ مِنْ قَوْلِ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ لَا يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ **يَمْرُقُونَ مِنْ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةِ** فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَنْ قَتَلَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَإِذَا لَقِيتَهُمْ فَاقْتُلْهُمْ فَإِنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" (أحمد بن حنبل: مسند الإمام أحمد، تح: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط:1، ج: 2، رقم الحديث: 1086، مؤسسة الرسالة للنشر، بيروت، 1995، ص: 329).

[32]- سورة النساء، آية: 125.

[33]- سورة البقرة، آية: 256.

[34]- محمد مرتضى الزبيدي : تاج العروس ، فصل الدال.

[35]- نفسه، الفصل نفسه.

[36]- دلالة كلمة «الدين» على هذه المعني تشير إلى أن هذه الكلمة ليست أصلية في حقل الشريعة، وإنما هي مستعارة لهذا الحقل. يقول الراغب الأصفهاني: "والدين يقال للطاعة والجزاء واستعير للشريعة، والدين كالملة لكنه يقال اعتبارا بالطاعة والانقياد للشريعة" (أنظر: المفردات في غريب القرآن، تح: مكتب الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز، ج:1، مكتبة نزار مصطفى للنشر، د.ت، ص: 233).

[37]- ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج:1، ص: 136.

[38]- ابن منظور: لسان العرب، مادة (فتن).

[39]- نفسه، المادة نفسها.

[40]- نفسه، المادة نفسها.

[41]- سورة الصافات، آية: 162.

[42]- محمد مرتضى الزبيدي : تاج العروس ، مادة (فتن).

[43]- ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ، ج:7، ص: 45.

[44]- ريم الهمامي: الاقتضاء وانسجام الخطاب، مرجع مذكور، ص: 311.

[45]- ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج:7، مرجع مذكور، ص: 33.

[46]- ابن منظور: لسان العرب، مادة (حرب).

[47]- محمد مرتضى الزبيدي : تاج العروس ، مادة (حرب).

[48]- الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، مرجع مذكور، ص: 146.

[49]- حديث طويل نقترح منه الجزء الذي يتضمن هذه الجملة وهو: "حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ مَعْمَرٍ قَالَ الزُّهْرِيُّ أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ عَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ وَمَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ يُصَدِّقُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَدِيثَ صَاحِبِهِ قَالَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَمَانَ الْحُدَيْبِيَةِ فِي بِضْعَ عَشْرَةَ مِائَةً مِنْ أَصْحَابِهِ حَتَّى إِذَا كَانُوا بِذِي الْحُلَيْفَةِ قَلَّدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

الْهَدْيَ وَأَشْعَرَهُ وَأَحْرَمَ بِالْعُمْرَةِ وَبَعَثَ بَيْنَ يَدَيْهِ عَيْنًا لَهُ مِنْ خُزَاعَةَ يُخْبِرُهُ عَنْ قُرَيْشٍ وَسَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى إِذَا كَانَ بِغَدِيرِ الْأَشْطَاطِ قَرِيبٌ مِنْ عُسْفَانَ أَتَاهُ عَيْنُهُ الْخُزَاعِيُّ فَقَالَ إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ كَعْبَ بْنَ لُؤَيٍّ وَعَامِرَ بْنَ لُؤَيٍّ قَدْ جَمَعُوا لَكَ الْأَحَابِشَ وَجَمَعُوا لَكَ جُمُوعًا وَهُمْ مُقَاتِلُوكَ وَصَادُّوكَ عَنْ الْبَيْتِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَشِيرُوا عَلَيَّ أَتَرَوْنَ أَنْ نَمِيلَ إِلَى ذَرَارِيِّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَعَانُوهُمْ فَنُصِيبَهُمْ فَإِنْ قَعَدُوا قَعَدُوا مَوْتُورِينَ **مَحْرُوبِينَ** وَإِنْ نَجَوْا- وَقَالَ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ- مَحْزُونِينَ وَإِنْ يَخْتُونَ تَكُنْ عُنُقًا قَطَعَهَا اللَّهُ أَوْ تَرَوْنَ أَنْ نَؤُمَّ الْبَيْتَ فَمَنْ صَدَّنَا عَنْهُ قَاتَلْنَاهُ» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ..." (أنظر: أحمد بن حنبل: مسند الإمام أحمد، رقم الحديث: 18928، ج:31، مرجع مذكور، ص: 243- 244).

[50]- محمد مرتضى الزبيدي : تاج العروس ، مادة (حرب).

[51]- ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ، ج:2، ص: 60.

[52]- ابن منظور: لسان العرب، مادة (ظلم).

[53]- ابن قتيبة: تفسير غريب القرآن، تح: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1978، ص: 28.

[54]- محمد مرتضى الزبيدي : تاج العروس ، مادة : (ظلم).

[55]- الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، مرجع مذكور، ص: 411.

[56]- نفسه، الصفحة نفسها.

[57]- نفسه، الصفحة نفسها.

[58]- ابن قتيبة: تفسير غريب القرآن، مرجع مذكور، ص: 29.

[59]- ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ، ج:7، ص: 74.

[60]- محمد عبده : شرح نهج البلاغة، ، دار الفجر للتراث ،القاهرة، 2005، ص: 390.

[61]- ابن منظور: لسان العرب، مادة (رعى).

[62]- نفسه، المادة نفسها.

[63]- الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، مرجع مذكور، ص: 262.

[64]- ابن منظور: لسان العرب، مادة (رعى).

[65]- نفسه، المادة نفسها.

[66]- ابن قتيبة: تفسير غريب القرآن، مرجع مذكور، ص: 60.

[67]- الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، مرجع مذكور، ص: 262.

[68]- لقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (سورة النساء، آية: 59). وعن طاعة الراعي يقول ابن منظور: "الأُمراء إذا كانوا أُولي علم ودين وآخذين بما يقوله أَهل العلم فطاعتهم فريضة" (لسان العرب: مادة «ألل»).

[69]- عبد الله صولة: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ط:2، دار الفارابي، بيروت، 2007، ص: 106.

[70] - Oswald Ducrot : Le dire et le dit, Op.cit, p : 20.

[71]- عبد العزيز لحويدق: الأسس النظرية لبناء شبكات قرائية للنصوص الحجاجية، ضمن: الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ط:1، ج:3، عالم الكتب الحديث، إربد، 2010، ص: 352.

[72] - Oswald Ducrot : Le dire et le dit, Op.cit, p : 20.

[73] - Ibidem.

[74] - Ibidem.

[75] - Ibidem.

[76] - Ibidem.

[77]- اعتبر طه عبد الرحمان أن رفض المقتضى يجعل القول بدون فائدة ويحوله إلى مجرد «لغو». وفي هذا يقول: المقتضى "لازم تضمني يترتب عن نفيه فقد القيمة لا مجرد فقد الصدق، مثاله:

-شراب النبيذ حرام.

فإن هذا القول ينطوي على معنى مضمر هو:

-النبيذ شراب.

فهذا المعنى هو بمنزلة لازم متقدم لحصول فائدة القول، بحيث يمكن إيراده مع هذا القول، فيزيده بيانا كأن نقول:

-النبيذ شراب وشربه حرام.

فإذا نحن قدرنا ارتفاع هذا اللازم ارتفعت فائدة القول ولَغَا لَغْوًا كما إذا قلنا:

-ليس النبيذ شرابا وشربه حرام" أنظر: طه عبد الرحمان : اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ط:1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1998، ص: 155- 156.

[78] - Oswald Ducrot : Le dire et le dit, Op.cit, p : 20.

[79]- جورج يول: التداولية، مرجع مذكور، ص: 51.

[80]- نفسه، الصفحة نفسها.

[81] - Oswald Ducrot : Le dire et le dit, Op.cit, p : 20.

[82] - Ibid, p :21.

[83] - Ibidem.

[84] - Ibidem.

[85]- ترى أوركيوني أنه حتى في الحالة التي تكون فيها الاقتضاءات خاطئة فإن "ردات فعل المتكلمين تختلف باختلاف طبيعة المقتضى وباختلاف المتكلمين أنفسهم، إذ يمكنهم إما أن يَدَعُوا الأمر يمر من دون الاعتراض عليه، أو أن يبقوا ساكتين لا يفتحون شفاههم، أو أن يعترضوا عليه بشدة، وفي هذه الحالة يمتاز الاعتراض على المقتضى بواقع جدلي يفوق ذلك الذي يتصف به المنطوق، ويعود ذلك إلى كون هذا الاعتراض لا يشكك بمحتوى القول فقط، وإنما يشكك حتى في السلوك التلفظي للمتكلم" (أنظر: Catherine Kerbrat Orcchioni : L'implicite, Op.cit, p :29)

[86] - Ibid, p : 30

[87] - Ibidem.

[88]- ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ، ج:2، ص: 74.

[89]- نفسه، ج:10، ص: 3.

[90]- نفسه، ج:7، ص: 179.

[91]- نفسه، ج:5، ص: 168.

[92]- نفسه، ج:2، ص: 111.

[93]- نفسه، ج:2، ص: 300.

[94]- نفسه، ج:7، ص: 74.

[95]- محمد عبده: شرح نهج البلاغة، مرجع مذكور، ص: 390.

[96]- ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ، ج:10، ص: 67.

[97]- نفسه، ج:2، ص: 189.

[98]- جورج يول: التداولية، مرجع مذكور، ص: 56.

[99]- عبد الله صولة: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، مرجع مذكور، ص: 118.

[100] - Catherine Kerbrat Orcchioni : L'implicite, Op.cit, p : 29- 30.

لائحة المصادر والمراجع:

***المصادر:**

الأصفهاني الراغب: المفردات في غريب القرآن، تح: مكتب الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز، ج:1، مكتبة نزار مصطفى للنشر، د.ت.

ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج:7، ت:محمد أبو الفضل إبراهيم، ط:2، دار إحياء الكتب العربية، 1965.

ابن حنبل أحمد: مسند الإمام أحمد، تح: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط:1، ج: 2، رقم الحديث: 1086، مؤسسة الرسالة للنشر، بيروت، 1995.

الزبيدي محمد مرتضى : تاج العروس ، دار ليبيا، بنغازي، 1966.

عبده محمد: شرح نهج البلاغة، ، دار الفجر للتراث ،القاهرة، 2005.

ابن قتيبة: تفسير غريب القرآن، ، تح: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1978.

ابن منظور أبو الفضل جمال الدين: لسان العرب، ط:1، دار صادر، بيروت، 1990.

***المراجع:**

الأمين محمد سالم محمد :مفهوم الحجاج عند بيرلمان ،ضمن الحجاج:مفهومه و مجالاته ، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ط:1، عالم الكتب الحديث، إربد، 2010

عبد الرحمان طه: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ط:1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1998.

صولة عبد الله: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ط:2، دار الفارابي، بيروت، 2007.

لحويدق عبد العزيز: الأسس النظرية لبناء شبكات قرائية للنصوص الحجاجية، ضمن: الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ط:1، ج:3، عالم الكتب الحديث، إربد، 2010.

الهمامي ريم: الاقتضاء وانسجام الخطاب، ط:1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2013.

يول جورج: التداولية، تر: قصي العتابي، ط:1، دار الأمان، الرباط، 2010.

***المراجع الأعجمية:**

Amossy Ruth: L'argumentation dans le discours, , 2éme édition , éditions : Armand Colin , Paris, 2006.

Ducrot Oswald : Le dire et le dit, les éditions de Minuit, Paris, 1984.

Moeschler Jacques : Argumentation et conversation :Eléments pour une analyse pragmatique du discours , Hatier-Credif, Paris, Aout 1985.

Orcchioni Catherine Kerbrat : L'implicite, , Armand Colin, Paris, 1986

Perlman Chaïm et Lucie Olbrechts – Tyteca : Traité de l'argumentation (La nouvelle rhétorique) , Editions de l'université de Bruxelles, 5 ème édition, 2000.